

القيادة بقدر ما كان للظروف الموضوعية التي انشأت تلك القيادة وابتليت بها الثورات الفلسطينية .

ان الظروف المستجدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة كبرى على النطاق العالمي بعد ان اسهم بشكل رئيسي في القضاء على قوى الفاشية العالمية ، وتشكل المنظومة الاشتراكية ، اعطت دفعا قويا لحركات التحرر الوطني . وفي غضون عشرين عاما نشب العديد من الثورات الوطنية ونال اكثر من ٧٠ بلدا استقلاله ، واقامت عدة بلدان في آسيا وامريكا اللاتينية انظمتها الاشتراكية . وليس من جديد القول ان كل هذا جرى بتأثير مباشر او غير مباشر لرياح ثورة اكتوبر التي اخذت تتحول بعد انتصارها على النازية الى اعصار يلف العالم كله .

والثورة الفلسطينية التي استندت للمعطيات العربية عند انطلاقتها ، لم تفتها لتغيرات الثورية الجارية في كافة ارجاء المعمورة ، ولم يغيب عن بالها ما للدور السوفياتي من أهمية فعالة في كل ذلك .

صحيح ان رؤية الثورة لهذه التغيرات العاصفة لم تكن واضحة تماما في بادئ الامر ، بسبب غياب المنهج العلمي في تفكير القادة الثوريين الذين فجروا الثورة في اصعب الظروف الذاتية بالنسبة للشعب الفلسطيني المشرذ على اكثر من رقعة ارض ، الا ان شمس النضال كانت كفيلة في انقشاع الغلالة الضبابية التي كانت تغلف الرؤية الاولى فلقد كان يكفي في بادئ الامر ان تتوفر **الظروف الموضوعية** لنضوج الثورة ، **والاصالة الثورية** لتفجيرها . وما كان هذا ليعيب الثورة بقدر ما كان يشحذها للتعلم بشكل اسرع واعمق ، والانسان في ثورته لا يغير واقعه فحسب ، بل ويغير نفسه كذلك .

كانت الثورة من ناحية الفكر الاجتماعي الذي اخذ يغزو حركة التحرر العربية في الفترة الاخيرة ، متخلفة الى حد ما . ولكن الاسلوب المسلح الذي اعتمده في النضال كان ذا مستوى ارفع من اساليب النضال الاخرى التي اعتمدها حركة التحرر الوطني انطلاقا من ظروفها المختلفة . وكان من شأن هذا الاسلوب - الارقى - ان يرفع درجة التوتر في المواجهة الى الحد الاقصى ، وان يطرح قضايا يومية حادة تتطلب سرعة البت وايجاد الحلول ، وفي غياب النظرية الثورية لم يكن امام الثورة سوى اسلوب التجربة والخطأ الذي اعتمده القيادات الوطنية لحركة التحرر العربي . ولكن ظروف المقاومة وموقعها المتقدم في المواجهة المباشرة مع العدو ، وعمق اتصالها بال جماهير وتعاملها اليومي معها ، لم تكن تسمح لها بالتمادي في استخدام هذا الاسلوب . كانت الثورة ملزمة اذ تجد نفسها في خط النار الاول وتتعامل مع قضية على مستوى الوجود والبقاء ، ان تكتسب الخبرة والوعي من اولى تجاربها ، وأن تشحذ حسها السياسي الى درجة مرهفة تستطيع معه تحليل الاحداث وتمييز الزيف من الحقيقة بسرعة العقل الالكتروني .

كانت الحقائق تتكشف امام أعين الثورة ، رغم تعقيدات الوضع ، بأسرع مما كانت تتكشف امام القيادات الاخرى لحركة التحرر العربية . ولم يكن هذا ناتجا عن قصور لدى تلك القيادات بقدر ما كان نتيجة الفرق في المواقع وظروف النضال . لم يكن المقاتل الفلسطيني بحاجة لاكثر من تجربة وخطأ واحد ، لاكتشاف الرابطة العضوية بين الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية ، او التمييز بين الصديق والعدو على النطاق العالمي ، وهو يرى نفسه حاملا بندقية سوفياتية الصنع ، امام دبابة صنعت في الولايات المتحدة .

كان التعلم يجري على الطبيعة وبالذخيرة الحية ! وكانت سطور كتاب الوعي لديه